التعصب

(لحضرة الكاتب الشاعر صاحب الامضاء)

من تأمل بعين البصيرة في سير الامم والشعوب والقبائل والبطون والملل والاسر ، وما يستتبع ذلك من العز والذل والرفعة والسقوط والحياة والممات ، علم ان قائد الجميع ومدبر الكل والمحور الذي تدور عليه والروح الذي يبعثها من العدم ويجعلها في مصاف الامم هو (التعصب) وما أدراك ما التعصب ؟

لعل القارىء لاول وهلة يستغرب ذلك أشد الاستغراب حيث ان تلك اللفظة صورتها بعض الامم — التي ما قامت لها قائمة الا بها — بحيوان هائل المنظر ، ناشب الاظفار ، يبطش بكل من خالفه من بني الانسان ، وما ذلك التصوير الا لمآرب وغايات ، سوف تتضح لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

ليسمح القارىء أولاً بتعريف تلك اللفظة ثم ليتدبر ما نشأ عنها وعن تركها من رفعة الامم وانحطاطها وعزها وذلها

التعصب رابطة تربط القلوب المتفرقة ، والآراء المتشتتة ، والاهواء المتباينة ، والوشائج المتقطعة ، الى أرومة واحدة ، تسق بماء واحد في صعيد واحد

التعصب به حياة الامم الميتة ، وسعادة الشعوب المضطهدة ، ولولاه

ما قامت فائدة لامة من الامم ، ولا حفظ استقلال لشعب من الشعوب أو جنس من الاجناس

تأمل بالاسفار من لدن آدم عليه السلام ، تر ما قامت دعوة نبي من الانبياء الا اذا تعصب له من قومه من أدرك كنه الدعوى (؟) وذب عن حوزتها ، والا كانت عرضة لاذاهم وعبثهم بما أتى به كما جرى لكثير من الانبياء

ان الانسان لا يعيش منفرداً ، فهو اجتماعي طبيعة ، تأمل لمَ لم يكن الكون تحت سلطة واحدة؟ لمَ لم تدخل انكلترا تحت حوزة روسيا أو لم لم يكن الامر بالعكس؟ لمَ لم تدخل فرنسا تحت حوزة ألمانيا أو لم لم يكن الامر بالعكس ؟ لمَ شعوب البلقان وما جاورها من العناصر دائما في نزاع؟ لم لم الخ

لمَ لم تكن الاديان وما يتفرع عنها من المذاهب واحدة ؟ لمَ لم يجتمع أصحابها الى دين واحد ومذهب واحد ؟ (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولكن ...)

أما وسر الاختلاف ، وما نشأ عنه من الحكم التي تحار فيها العقول ، ما فرق تلك الدول عن بعضها البعض (مع انها من دين واحد كما تزعم) الا التعصب لجنسيتها ، والتحيز لقبيلها وبالاولى لمذهبها ، تأمل بما وصل اليه الرومانيون والفينيقيون والعرب الاندلسيون والمصريون وسواهم ، بل وبما وصلت اليه أوربا الان من العلوم وما يتبعها من القوة والمنعة ؟ هل كان ذلك بالانفراد ، أو بالعصبية الجامعة للافراد ؟

تأمل بماذا جرت الحرب على بني الانسان ، هل باعث لذلك سوى

التعصب للطمع أو للاستيلاء أو لاهانة لحقت أو لدين من الاديان ؟

تأمل بما ذا نشبت حروب القرون الوسطى ، هل سبب لذلك سوى تعصب دين ... على دين ...

تأمل بما ذا اتفقت أوربا على روسيا في حرب القريم وعلى الدولة العثمانية في جملة مواقع أقربها حرب الروسيا الاخيرة وما تلاها من مؤتمر برلين ...

تأمل بما ذا أغوت بعض الدول الارمن والدروز والكريديين على العصيان ، واليونان على احتلال كريد بعد اعطائها الامتياز وتعيين المسيحي (بجرجي باشا) وتنظيم الضابطة من طرف أوربا ، وما نتج عن ذلك من الحروب العثمانية اليونانية ، وتعصب الدول على عدم انالة الفاتح أرضاً كانت له الى غير ذلك في كون ان الدول ابتلعت جملة أراضي من الفاتح وغيره بمجرد وضع اليد أو الاغتصاب ، لا باراقة دماء واستنزاف أموال

تأمل لمَ لم تحل الى الان مسئلة كريد وجبل ثاثريها متروك على غاربهم ؟

تأمل لمَ بعض الدول متشبثة بتعيين من حورب أبوه لاجلها ؟

تأمل لمَ لم تترك صاحبة الملك تفعل ما تريده من إعادة النظام عليها ؟

تأمل لمَ لم تترك تبدل عسكرها كما بدل غيرها ، كأن عسكرها ليسوا من الانسان وليس لهم أهل تفتت أكبادهم لرؤيتهم !؟

سبحانك اللهم ان هذا بهتان وظلم عظيم ، بل هو ليس من التعصب في شيء ...

تأمل لمَ إذا أرادت عمل شيء يعود عليها بالفائدة نصبت لها أوربا

العراقيل ورمتها بالتعصب ولا ترمي نفسها !

تأمل لمَ نشبت الحرب بين امريكا وأسبانيا الآن، ولم أوربا قريباً منالبة على امريكا !

تأمل لمَ اتفقت أوربا على اليابان في حربها مع الصين، ولم اتفقت الآن على ابتلاع الصين بطرق لم نسمع مثلها في أبائنا الاولين ؟

تأمل لمَ علائق روسيا وانكلترا الآن على غير ما يرام

تأمل لمَ انكلترا طامحة بنظرها الى ابتلاع السودان، ومجردة عليه من جيوش التمدن . . . لا التعصب . . براكين النيران، تأمل لم كانت الجرائد الاوربية وغيرها مختلفة النزعات متباينة المشارب، وكل يوم تنشب بينها الحروب القلمية بمقذوفات الافكار وسهامها، لا بمقذوفات المدافع ونيرانها، كل يدافع عن أهوائه، ويدعي العصمة لآرائه، هذه لسان حال البرنس فلان وهذه لسان اللورد فلان وهذه للمحافظين وهذه للاحرار وهذه للاشتراكيين وهذه للعملة وهذه للاسرة المالكة وهذه وهذه الخ

أقول والصدق خير ما يقال جذا جذا زمن التعصب جذا جذا تلك الايام التي مرت كأنها أحلام، أيام كنا والقول قولنا، والقوة قوتنا، والامر والنهي بيدنا، ومع ذلك لم نعبث بما كان تحت سلطتنا مما يخالف ديننا، ولم نتألب عليه بل عاملناه بمقتضى الشرع الذي يأمر بالعدل والاحسان لجميع بني الانسان (لهم مالنا وعليهم ما علينا) وكم حملت دولتنا من ملوك الدول المتألبة علينا الآن مالا نطيل بذكره فاعتبر بهذا الوقت عقد (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا — ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) سنة الله في الخلق (وتلك الايام نداولها بين الناس)

شرنا ذلك العقد حتى لا يرى منا أحد بالتعصب ، الذي به قوام الجامعة الدينية والدنيوية ، فصدقت علينا هذه الجملة « تركنا الدنيا والدين حتى لا ندعي متعصبين »

أما وسم التعصب وما به من الاتحاد إن أوربا ما خلقت لنا تلك اللفظة وصورتها لنا بغير صورتها الحقيقية ورمتنا بها الا لتفريق شملنا ، وتبديد كلمتنا ، وتمزيق قوتنا ، وحل رابطتنا الدينية ، لتقوى على أخذنا بسهولة مما يعلم ذلك كله الخبير ، وفي هذا القدر كفاية ولعلي أغتنم الفرص وأحدث بما يخطر لي من هذا القبيل والله الموفق　　(محي الدين الخياط)

(المنار) ان كلام الكاتب الفاضل في التعصب المطلق ، فيدخل فيه الديني والجنسي وقد ذكر من آثاره ماهو مذموم وماهو ممدوح ، يحتج ببعض ذلك على منفعة التعصب ، وببعضه على تلبس أوربا به على اطلاقه ، ومزج القول في ذلك مزجاً . ومما يؤخذ عليه فيه من جماهير علماء الدين قوله : ان دعوة الانبياء ما قامت الا بالتعصب ، وقد تبع في ذلك الحكيم الاسلامي ابن خلدون ، والجماهير يقولون ان الدعوة قامت بالتأييد الالهي ، وانما الفتوحات التي اتسعت بها سلطة الدين هي التي قامت بالعصبية كما تقتضيه طبيعة الملك ، ولعلنا نبسط الكلام في هذا الموضوع في فرصة أخرى والله الموفق وبه المستعان